فصل
في قرب الله تعالى وإجابته
وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته

الشرح:

* قوله: «**وقد دخل في ذٰلك**»؛ يعني: فيما وصف به نفسه:

* «**الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب**»: الإيمان بأنه قريب في نفسه، ومجيب؛ يعني: لعباده.

* ودليل ذٰلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

في هٰذه الآية ستة ضمائر تعود على الله، وعلى هٰذا؛ فيكون القرب قربه عز وجل، ولٰكن نقول في ﴿قَرِيبٌ﴾ كما قلنا في المعية؛ أنه لا يستلزم أن يكون في المكان الذي فيه الإنسان.

* وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إنه أقرب

إلى أحدكم من عنق راحلته»[1]، ولا يلزم أن يكون الله عز وجل نفسه في الأرض بينه وبين عنق راحلته.

وإذا كان قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «فإن الله قبل وجه المصلي»[2]: لا يستلزم أن يكون الله بينه وبين الجدار، إن كان يصلي إلى الجدار، ولا بينه وبين الأرض إن كان ينظر إلى الأرض.

فكذلك لا يلزم من قربه أن يكون في الأرض؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته، وهو محيط بكل شيء.

* واعلم أن من العلماء من قسم قرب الله تعالى إلى قسمين؛ كالمعية، وقال: القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام، والقرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص.

* ومنهم من يقول: إن القرب خاص فقط؛ مقتضٍ لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم.

ـ ويستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وبقول النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[3]، وأنه لا يمكن أن يكون الله تعالى قريباً من الفجرة الكفرة.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٥٤).

(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٨٩) وهو في «الصحيحين».

(٣) رواه مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهٰذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

ـ ولٰكن أورد على هٰذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ فالمراد بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: كل إنسان، ولهٰذا قال في آخر الآية: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ. . .﴾ إلى أن قال: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٢ ـ ٢٣]؛ فهو شامل.

ـ وأورد عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٥]، ثم قسم هٰؤلاء الذين بلغت أرواحهم الحلقوم إلى ثلاثة أقسام، ومنهم الكافر.

ـ وأجيب عن ذٰلك بأن قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ يعني: بملائكتنا، واستدل لذٰلك بقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]؛ فإن ﴿إِذْ﴾ ظرف متعلق بـ﴿أَقْرَبُ﴾؛ يعني: ونحن أقرب إليه حين يتلقى المتلقيان، وهٰذا يدل على أن المراد بقربه تعالى قرب ملائكته.

وكذٰلك قوله في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: المراد: قرب الملائكة، ولهٰذا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، وهٰذا يدل على أن هٰذا القريب موجود عندنا، لٰكن لا نبصره، وهٰذا يمتنع غاية الامتناع أن يكون المراد به الله عز وجل؛ لأن الله في السماء.

وما ذهب إليه شيخ الإسلام؛ فهو عندي أقرب، ولٰكنه ليس في القرب بذاك.

* * *

* قوله: «كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذٰلِكَ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الذي تَدْعونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحِلَتِهِ»[1]».

* قوله: «كما جمع بين ذٰلك»: المشار إليه القرب والإجابة.

* * *

* قال المؤلف: «وَمَا ذُكِرَ في الكِتابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لا يُنافي ما ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فإِنَّهُ سُبْحانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في جَميعِ نُعوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ في دُنُوِّهِ، قَريبٌ في عُلُوِّهِ».

* «نعوته»؛ يعني: صفاته. هو علي مع أنه دانٍ، قريب مع أنه عالٍ، ولا تناقض في ذٰلك، وقد سبق بيان ذٰلك قريباً في الكلام على المعية.

* * *

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٥٤).

فصل
في الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة

الشرح:

* قوله: «**فَصْلٌ: وَمِنَ الإيمانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ: الإيْمانُ بِأنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلوقٍ؛ مِنْهُ بَدَأ، وَإلَيْهِ يَعودُ**»:

* قوله: «**الإيمان بأن القرآن كلام الله**»: وجه كون الإيمان بالقرآن على هٰذا الوجه من الإيمان بالله: أن القرآن من كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته، وأيضاً؛ فإن الله وصف القرآن بأنه كلامه، وأنه منزل؛ فتصديق ذٰلك من الإيمان بالله.

* قوله: «**كلام الله**»: والدليل على ذٰلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

* قول المؤلف: «**منزل**»؛ أي: من عند الله تعالى:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

* قوله: «**غير مخلوق**»؛ أي: ليس من مخلوقات الله التي خلقها.

والدليل على ذٰلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. والقرآن من الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ولأن الكلام صفة المتكلم، والمخلوق مفعول للخالق، بائن منه؛ كالمصنوع؛ بائن من الصانع.

* قوله: «**منه بدأ**»؛ يعني: أن ابتداء تنزيله من الله، لا من جبريل ولا غيره؛ فجبريل نازل به من عند الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٣]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

* وقوله: «**وإليه يعود**»: سبق الكلام[1] عن معناها والدليل عليها في شرح الآيات عند البحث عن كلام الله.

* قال المؤلف: «**وأن الله تكلم به حقيقة**»: بناء على الأصل؛ أن جميع الصفات حقيقية، وإذا كان كلام الله حقيقة؛ فلا يمكن أن يكون مخلوقاً؛ لأنه صفته، وصفة الخالق غير مخلوقة؛ كما أن صفة المخلوق مخلوقة.

---

(١) (١/٤٢٨).

وقد قال الإمام أحمد: «من قال: لفظ بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق؛ فهو مبتدع»[1].

فنقول: اللفظ يطلق على معنيين: على المصدر الذي هو فعل الفاعل، وعلى الملفوظ به:

ـ أما على المعنى الأول الذي هو المصدر؛ فلا شك أن ألفاظنا بالقرآن وغير القرآن مخلوقة

لأننا إذا قلنا: إن اللفظ هو التلفظ؛ فهٰذا الصوت الخارج من حركة الفم واللسان والشفتين مخلوق.

فإذا أريد باللفظ التلفظ؛ فهو مخلوق، سواء كان الملفوظ به قرآناً أو حديثاً أو كلاماً أحدثته من عندك.

ـ أما إذا قصد باللفظ الملفوظ به؛ فهٰذا منه مخلوق، ومنه غير مخلوق.

وعليه؛ إذا كان الملفوظ به هو القرآن؛ فليس بمخلوق.

هٰذا تفصيل القول في هٰذه المسألة.

لٰكن الإمام أحمد رحمه الله قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي»! قال ذٰلك لأحد احتمالين:

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «السنة» (١/ ١٦٥)، ورواه الخلال أيضاً في كتاب «السنة»، كما في كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٢٦١).

ـ أما أن هٰذا القول من شعار الجهمية؛ كأن الإمام أحمد يقول: إذا سمعت الرجل يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فاعلم أنه جهمي.

ـ وإما أن يكون ذٰلك حين يريد القائل باللفظ الملفوظ به، وهٰذا أقرب؛ لأن الإمام أحمد نفسه فسره؛ قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ ـ يريد القرآن ـ؛ فهو جهمي».

وحينئذ يتضح معنى قوله: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي»؛ لأنه أراد الملفوظ به.

ولا شك أن الذي يريد باللفظ هنا الملفوظَ به فهو جهمي، أما من قال: غير مخلوق؛ فالإمام أحمد يقول: مبتدع؛ لأن هٰذا ما عهد عن السلف، وما كانوا يقولون مثل هٰذا القول؛ يقولون: القرآن كلام الله؛ فقط.

* * *

* قوله: «**وَأَنَّ هٰذا القُرْآنَ الذي أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقيقَةً، لا كَلامُ غَيْرِهِ**».

* كرر المؤلف هٰذا؛ لأن المقام مقام عظيم؛ فإن هٰذه المسألة حصل فيها على علماء المسلمين من المحن ما هو معلوم، وهلك فيها أمم كثيرة، ولٰكن حمى الله الحق بالإمام أحمد وأشباهه، الذين أبوا أن يقولوا إلا أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

* وقوله: «**لا كلام غيره**»: خلافاً لمن قال: إن القرآن من كلام جبريل؛ ألهمه الله إياه، أو من كلام محمد... أو ما أشبه ذٰلك.

فإن قلت: قول المؤلف هنا: «لا كلام غيره»: معارض بقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤١]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠]، والأول محمد ﷺ، والثاني جبريل؟!

فالجواب عن ذٰلك أن نقول: لا يمكن أن نحمل الآيتين على أن الرسولين تكلما به حقيقة، وأنه صدر منهما؛ لأن كلاماً واحداً لا يمكن أن يصدر من متكلمين!!

* * *

* قوله: «**وَلا يَجوزُ إطْلاقُ القَوْلِ بِأنَّهُ حِكايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ أو عِبارَةٌ**»:

* قال: «**لا يجوز إطلاق القول**»: ولم يقل: لا يجوز القول! يعني: لا يجوز أن نقول: هٰذا القرآن عبارة عن كلام الله؛ إطلاقاً، ولا يجوز أن نقول: إنه حكاية عن كلام الله؛ على سبيل الإطلاق.

والذين قالوا: إنه حكاية: هم الكلابية، والذين قالوا: إنه عبارة: هم الأشعرية.

والكل اتفقوا على أن هٰذا القرآن الذي في المصحف ليس كلام الله، بل هو إما حكاية أو عبارة، والفرق بينهما:

أن الحكاية المماثلة؛ يعني: كأن هٰذا المعنى الذي هو الكلام

عندهم حُكي بمرآة؛ كما يحكي الصدى كلام المتكلم.

أما العبارة؛ فيعني بها أن المتكلم عبر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات خلقت.

فلا يجوز أن نطلق أنه حكاية أو عبارة، لكن عند التفصيل؛ قد يجوز أن نقول: إن القارىء الآن يعبر عن كلام الله أو يحكي كلام الله؛ لأن لفظه بالقرآن ليس هو كلام الله.

وهٰذا القول على هٰذا التقييد لا بأس به، لٰكن إطلاق أن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله لا يجوز.

وكان المؤلف رحمه الله دقيقاً في العبارة حيث قال: «لا يجوز إطلاق القول»، بل لا بد من التقييد والتعيين.

* * *

* قوله: «**بَلْ إذا قَرَأَهُ النَّاسُ أوْ كَتَبوهُ في المَصاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذٰلِكَ عَنْ أنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعالى حَقيقَةً؛ فإنَّ الكَلامَ إنَّما يُضافُ حَقيقَةً إلى مَنْ قالَهُ مُبْتَدِئاً لا إلى مَنْ قالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّياً**».

* يعني: مهما كتبه الناس في المصاحف أو حفظوه في صدورهم أو قرؤوه بألسنتهم؛ فإنه لا يخرج عن كونه كلام الله.

* ثم علل ذٰلك، فقال: «**فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً**».

وهٰذا تعليل واضح؛ فالكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، أما إضافته إلى من قاله مبلغاً مؤدياً؛ فعلى سبيل التوسع؛

فلو قرأنا الآن مثلاً:

حُكْمُ المَحَبَّةِ ثابِتُ الأرْكانِ مَا لِلصُّدودِ بِفَسْخِ ذاكَ يَدانِ

فإن هٰذا البيت ينسب حقيقة إلى ابن القيم[1].

ولو قلت:

كَلامُنا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الكَلِمْ

فهٰذا ينسب حقيقة إلى ابن مالك[2].

إذاً؛ الكلام يضاف حقيقة إلى القائل الأول.

فالقرآن كلام من تكلم به أولاً، وهو الله تعالى، لا كلام من بلغه إلى غيره.

* * *

* قوله: «**وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُروفُهُ وَمَعانِيهِ**»:

هٰذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ قالوا: إن الله تعالى تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه.

* قوله: «**وَلَيْسَ كَلامُ اللهِ الحُروفَ دُونَ المَعاني**»:

وهٰذا مذهب المعتزلة والجهمية؛ لأنهم يقولون: إن الكلام ليس معنىً يقوم بذات الله، بل هو شيء من مخلوقاته؛ كالسماء

---

(١) «شرح قصيدة الإمام ابن القيم» لابن عيسى (١/ ٣٧).

(٢) «شرح ابن عقيل على الألفية» (١/ ١٣).

والأرض والناقة والبيت وما أشبه ذٰلك! فليس معنىً قائماً في نفسه؛ فكلام الله حروف خلقها الله عز وجل، وسماها كلاماً له؛ كما خلق الناقة وسماها ناقة الله، وكما خلق البيت وسماه بيت الله.

ولهٰذا كان الكلام عند الجهمية والمعتزلة هو الحروف؛ لأن كلام الله عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله عز وجل ونسبها إليه تشريفاً وتعظيماً.

* قوله: «**وَلَا المَعاني دُونَ الحُروفِ**».

وهٰذا مذهب الكلابية والأشعرية؛ فكلام الله عندهم معنى في نفسه، ثم خلق أصواتاً وحروفاً تدل على هٰذا المعنى؛ إما عبارة أو حكاية.

واعلم أن ابن القيم رحمه الله ذكر أننا إذا أنكرنا أن الله يتكلم؛ فقد أبطلنا الشرع والقدر:

ـ أما الشرع؛ فلأن الرسالات إنما جاءت بالوحي، والوحي كلام مبلغ إلى المرسل إليه؛ فإذا نفينا الكلام؛ انتفى الوحي، وإذا انتفى الوحي؛ انتفى الشرع.

ـ أما القدر؛ فلأن الخلق يقع بأمره؛ بقوله: كن! فيكون؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يٰسٓ: ٨٢].

* * * * *

فصل
في الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ومواضع الرؤية

* قول المؤلف: «فَصْلٌ: وَقَدْ دَخَلَ أَيْضاً فيما ذَكَرْناهُ مِنَ الإيمانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإيمانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيامَةِ».

الشرح:

* قوله: «الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة»:

ـ وجه كون الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة من الإيمان بالله ظاهر؛ لأن هٰذا مما أخبر الله به؛ فإذا آمنا به؛ فهو من الإيمان بالله.

ـ ووجه كونه من الإيمان بالكتب؛ لأن الكتب أخبرت بأن الله يُرى؛ فالتصديق بذٰلك تصديق بالكتب.

ـ ووجه كونه من الإيمان بالملائكة؛ لأن نقل الوحي بواسطة الملائكة؛ فإن جبريل ينزل بالوحي من الله تعالى؛ فكأن الإيمان بأن الله يُرى من الإيمان بالملائكة.

ـ وكذٰلك نقول: من الإيمان بالرسل؛ لأن الرسل هم الذين بلغوا ذٰلك للخلق؛ فكأن الإيمان بذٰلك من الإيمان بالرسل.

* قوله: «**عياناً بأبصارهم**»: (عياناً)؛ بمعنى: معاينة، والمعاينة هي الرؤية بالعين.

* قوله: «**كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب**»: ودليل ذٰلك قوله عليه الصلاة والسلام: «ترونه كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»[1].

والمراد بالرؤية: بالعين؛ كما يدل عليه تشبيه الرؤية برؤية الشمس صحواً ليس دونها سحاب.

* قوله رحمه الله: «**وَكَما يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا يُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ**»: سبق الكلام في ذٰلك.

* * *

* قوله: «**يَرَوْنَهُ سُبْحانَهُ وَهُمْ في عَرَصاتِ القِيامَةِ**»:

* «**عَرَصات**»: جمع عَرْصة، وهي المكان الواسع الفسيح، الذي ليس فيه بناء؛ لأن الأرض تُمَدُّ مَدَّ الأديم؛ كما قال الرسول

---

(١) رواه: البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

عليه الصلاة والسلام[1]؛ يعني: مَدَّ الجلد.

* فالمؤمنون يرون الله في عرصات يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة؛ كما قال الله تعالى عن المكذبين بيوم الدين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؛ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ يعني: يوم الدين؛ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ويرونه كذلك بعد دخول الجنة.

* أما في عرصات القيامة؛ فالناس في العرصات ثلاثة أجناس:

١ ـ مؤمنون خُلَّص ظاهراً وباطناً.

٢ ـ وكافرون خُلَّص ظاهراً وباطناً.

٣ ـ ومؤمنون ظاهراً كافرون باطناً، وهم المنافقون.

ـ فأما المؤمنون؛ فيرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة.

ـ وأما الكافرون؛ فلا يرون ربهم مطلقاً، وقيل: يرونه؛ لٰكن رؤية غضب وعقوبة، ولٰكن ظاهر الأدلة يدل على أنهم لا يرون

---

(١) لما رواه الحاكم (٤/ ٥٧٥) عن عبد الله بن عمرو ـ موقوفاً ـ قال: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق»، ومن حديث جابر (٤/ ٤٧٠) رفعه: «تمد الأرض مد الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها إلاّ موضع قدميه»، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٧٦): رجاله ثقات.
وصحّح الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٦٠٧) سند الموقوف.

الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

ـ وأما المنافقون؛ فإنهم يرون الله عز وجل في عرصات القيامة، ثم يحتجب عنهم، ولا يرونه بعد ذٰلك.

* * *

* قوله: «ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخولِ الجَنَّةِ كَما يَشاءُ اللهُ تَعالى»:

* قوله: «**كما يشاء**»؛ يعني: يرون الله كما يشاء سبحانه وتعالى في كيفية رؤيتهم إياه، وكما يشاء الله في زمن رؤيتهم إياه، وفي جميع الأحوال؛ يعني: على الوجه الذي يشاؤه الله عز وجل في هٰذه الرؤية.

* وحينئذ؛ فإن هٰذه الرؤية لا نعلم كيفيتها؛ بمعنى أن الإنسان لا يعلم كيف يرى ربه، ولٰكن معنى الرؤية معلوم؛ أنهم يرون الله كما يرون القمر؛ لكن على أي كيفية؟ هٰذه لا نعلمها، بل كما يشاء الله.

وقد سبق التفصيل في الرؤية.

* * *

فصل
في الإيمان باليوم الآخر

الشرح:

شرع المؤلف رحمه الله تعالى في الكلام عن اليوم الآخر وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه، فقال:

* «**فصل: ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت**»:

* حكم الإيمان باليوم الآخر فريضة واجب، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به تعالى والإيمان باليوم الآخر؛ الإيمان بالمبدأ والإيمان بالمعاد؛ لأن من لم يؤمن باليوم الآخر؛ لا يمكن أن يؤمن بالله؛ إذ إن الذي لا يؤمن باليوم الآخر؛ لن يعمل؛ لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر، وما يخافه من العذاب والعقوبة؛ فإذا كان لا يؤمن به؛ صار

كمن حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

* وسمي اليوم الآخر باليوم الآخر؛ لأنه يوم لا يوم بعده؛ فهو آخر المراحل.

* والإنسان له خمس مراحل: مرحلة العدم، ثم الحمل، ثم الدنيا، ثم البرزخ، ثم الآخرة.

ـ فأما مرحلة العدم؛ فقد دل عليها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

ـ وأما مرحلة الحمل؛ فقال الله عنها: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

ـ وأما مرحلة الدنيا؛ فقال الله عنها: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وهٰذه المراحل هي التي عليها مدار السعادة والشقاء، وهي

دار الامتحان والابتلاء؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [تبارك: ٢].

ـ وأما مرحلة البرزخ؛ فقال الله عنها: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

ـ وأما مرحلة الآخرة؛ فهي غاية المراحل، ونهاية الراحل؛ قال الله تعالى بعد ذكر المراحل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦].

* وقوله رحمه الله: «**الإيمانُ بكلِّ ما أَخْبَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ**»: كل هٰذا داخل في الإيمان باليوم الآخر.

وذٰلك لأن الإنسان إذا مات؛ دخل في اليوم الآخر، ولهٰذا يقال: من مات؛ قامت قيامته؛ فكل ما يكون بعد الموت؛ فإنه من اليوم الآخر.

إذاً؛ ما أقرب اليوم الآخر لنا؛ ليس بيننا وبينه إلا أن يموت الإنسان، ثم يدخل في اليوم الآخر الذي ليس فيه إلا الجزاء على العمل.

ولهٰذا يجب علينا أن ننتبه لهٰذه النقطة.

فكر أيها الإنسان؛ تجد أنك على خطر؛ لأن الموت ليس له أجل معلوم عندنا؛ قد يخرج الإنسان من بيته ولا يرجع إليه، وقد يكون الإنسان على كرسي مكتبه ولا يقوم منه، وقد ينام الإنسان على فراشه ولٰكنه يحمل من فراشه إلى سرير غسله، وهٰذا أمر

يستوجب منا أن ننتهز فرصة العمر بالتوبة إلى الله عز وجل، وأن يكون الإنسان دائماً يستشعر بأنه تائب إلى الله وراجع ومنيب حتى يأتيه الأجل وهو على خير ما يرام.

* * *

* قوله: «**فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه**»:

* الفتنة هنا الاختبار، والمراد بفتنة القبر: سؤال الميت إذا دفن عن ربه ودينه ونبيه.

* والضمير في «**يؤمنون**»: يعود على أهل السنة؛ أي أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر، وذٰلك لدلالة الكتاب والسنة عليها.

ـ أما الكتاب؛ ففي قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]؛ فإنْ هٰذا في فتنة القبر؛ كما ثبت في «الصحيحين»[1] وغيرهما من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ـ وأما السنة؛ فقد تظافرت بأن الإنسان يفتن في قبره، وهي فتنة قال فيها النبي ﷺ: «إنه قد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل (أو: قريباً من) فتنة الدَّجال»[2].

وفتنة الدجال أعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم

---

(١) رواه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) رواه البخاري (١٨٤)، ومسلم (٩٠٥)؛ عن أسماء رضي الله عنها.

الساعة؛ كما في «صحيح مسلم» عن عمران بن حصين رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال»[1].

ولٰكن النبي ﷺ قال لأصحابه، بل قال لأمته: «إن يخرج وأنا فيكم؛ فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم؛ فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم»[2].

ومع ذٰلك؛ فإن نبينا محمداً ﷺ أعلمنا كيف نحاجه، وأعلمنا بأوصافه وميزاته، حتى كأنا نشاهده رأي عين، وبهٰذه الأوصاف والميزات نستطيع أن نحاجه.

ولهٰذا نقول: إن فتنة الدجال أعظم فتنة، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل ـ أو قريباً من ـ فتنة الدجال»[3].

وما أعظمها من فتنة! لأن الإنسان يتلقى فيها السؤال الذي لا يمكن الجواب عليه؛ إلا على أساس متين من العقيدة والعمل الصالح.

* * *

* قوله: «**فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم**»:

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٦) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه (٢/١٠٨).